# معـــارك الرياض

رأينا في الجزء الأول من هذا الكتاب أن الحرب بين دهام بن دواس صاحب الرياض وبين الدرعية ، انتهت إلى سلم وصفاء عام ١١٧٧ هـ . ، وكان ثمن هـذا الصلح مبلغاً كبيراً من المال حمله ابن دواس الى محمد بن سعود .

وفي عام ١١٧٨ هـ . التمس ابن دواس تجديد الصلح ، فاستجاب له محمـد بن سعود ، ولم يطلب منه شيئاً ، فتمّ تثبيت الصلح « مجاناً » — كما يقول ابن غنام — وكان ذلك إشارة إلى لون من الثقة بشرف ابن دواس وعهده !

وفي ربيع الأول من عام ١١٧٩ هـ . مرض محمـد بن سعود مرض الموت ، فتحركت غريزة الشر والغدر في نفس ابن دواس ، فقام مع رئيس الدلم ، زيد بن زامل ، بالعدوان على «الصبيخات» [١] في منفوحة ، وأخذوا سوانيها ، ولكن أهل منفوحة نهضوا لقتالهم وسقط عشرة قتلى من الفريقين .

وهكذا نقض ابن دواس عهده ، وجاهر بالعداوة ، وسعّر نيران الحرب .. وسيكون ذلك سبب هلاكه وضياع ملكه الى الأبد [٢] !

---

(١) جاء في هامش ابن بشر ـ طبعة وزارة المعارف ـ أن الصبيخات تعرف اليوم بالصبيخة، وهي نخيل منفوحة .

(٢) انظر ابن غنام . أما ابن بشر فيذكر وفاة محمد بن سعود ثم يتكلم عن نقض دهام للصلح ثم غزوه للصبيخات،مما يوهم أن ذلك كان بعد وفاة محمد بن سعود.. والحقيقة أنه حدث في حياته!

## سنة ١١٧٩ هـ.

### المعركة الاولى :

كان أول عمل حربي قام به عبد العزيز ، بعد وفاة أبيه وتوليّه الإمارة : الثأر لأهل منفوحة من دهام وجماعته ، فسار الى الرياض واستولى على بروج « جصان » ، فخرج ابن دواس ومقاتلته من البلدة منهزمين فارّين .. ولكن عبد العزيز لم يطمئن الى هذا النصر السهل ، فأمر رجاله بالنزول من الأبراج وحذّرهم مكر ابن دواس .

وكان حذر عبد العزيز في موضعه ، فابن دواس لم ينهزم ، وإنما أراد تأخير القتال حتى تصل اليه نجدة من عشائر « سبيع » ، النازلة على مقربة من الرياض – وكان قد تواطأ معها واستدعاها – فجاءت بعدد وعدّة ، وجرى بينها وبين مقاتلة عبد العزيز شيء من قتال، وأدرك عبد العزيز أنه لا يستطيع قهر خصومه وحلفائهم لكثرتهم وحُسن استعدادهم،فآثر الانسحاب والرجوع الى الدرعية[1].

### الثأر من سبيع :

في ذلك الوقت كان الأمير عبد الله بن محمد ، أخو عبد العزيز ، والجد الأعلى للملك عبد العزيز ، نازلاً في « حريملا » ، مع جماعة من الفرسان ، فلما بلغه ما فعلته سبيع ، أسرع الى فرقة من سبيع ، تدعى آل شلية ، كانوا يرعون في « العرمة » ، وفاجأهم وهم في خيامهم ، وأخذ كل ما كان معهم من إبل وخيل ومتاع ، وبذلك أدّبهم وانتقم من عشيرتهم شيئاً من انتقام [2] .

### وقعة العدوة :

في نفس هذا العام – ١١٧٩ – جرت وقعة عرفت باسم « العدوة » ، وذلك

---

(١) انظر الهامش رقم (٢) في الصفحة السابقة .
(٢) ابن غنام وابن بشر .

أن ستين رجلاً من الموحدين عدوا على الرياض ، ولكن رجلاً خرج من الدرعية وأخبر عنهم أمير الرياض ، فاستعد لهم وقتل منهم ثمانية وأسر خمسة ، وهرب الآخرون الى الدرعية .

### غزوة ثالثة :

وفي تلك السنة أيضاً غزا عبد العزيز الرياض مرة ثالثة ، وقتل ستة من رجال ابن دواس ، ثم عاد الى الدرعية .

### الدفاع عن منفوحة :

وحاول ابن دواس في هذه السنة غزو منفوحة ، ولكنه لم يكد ينزل في نخيلها حتى أسرع الموحدون الى نجدة أهالي منفوحة ، فلما علم بمجيئهم تفادى القتال معهم وانسحب ...

## سنة ١١٨٠ هـ .

### وقعة البنية :

غزا عبد العزيز الرياض في شوال من سنة ١١٨٠ هـ . ونزل « البنية » وقاتل أهلها ، فقتل منهم أربعة وقتلوا من رجاله واحداً فقط .

وكان عبد العزيز ، قبل ذلك ، قد صادف في طريق عودته من غارة قام بها على ثرمدا غزواً لابن رواس ، فقتل رجالاً منهم [١] .

## سنة ١١٨١ هـ .

### وقعتا المشيقيق والجوز :

وفي عام ١١٨١ هـ . غزا عبد العزيز الرياض أيضاً ، ونزل « المشيقيق » ،

---

(١) أنظر ابن غنام وابن بشر .

وقتل من أهلها ستة رجال ، وقُتِلَ من الموحدين اثنان [١] .

ثم عاد مرة أخرى إلى غزو الرياض ، وجرت بينه وبين أهلها معركة دعيت باسم المكان الذي جرت فيه : « الجوز » ولم يكن فيها التحام ، وإنما جرى إطلاق النار من بعيد .. وكان قتلى الموحدين فيها عشرة .. وقتلى أهل الرياض خمسة [٢] .

وينفرد ابن بشر بذكر وقعة ثالثة حدثت في هذا العام ، يسميها وقعة « باب الثميري » ، قتل فيها من الفريقين بضعة رجال ..

**قصر الغذوانة :**

يقول ابن غنام ، في أخبار هذه السنة « ١١٨١ هـ . إن عبد العزيز ( أقام بقصر الغذوانة أياماً يغير على الرياض ويرجع مكانه ) .

وهنا ينبغي لنا أن نقف قليلاً ، فما هو قصر الغذوانة ؟ وما هي خطورته ؟

إنه قصر ( أو حصن ) كان عبد العزيز قد أمر ببنائه على مقربة من الرياض وشحنه بالمقاتلين والأسلحة والمؤن لأغراض حربية و « نفسانية » ، وقد ثبت أن هذا الأسلوب الجديد عظيم النفع في الحرب ، فقد استطاع عبد العزيز أن يضيّق الخناق على خصمه وأن يضعف روحه ويرصد تحركاته ويتخطف أفراده وجماعاته ، وكان هذا القصر منطلقاً لغزوات متتابعة متلاحقة ، فما يكاد أهل الرياض يتنفسون الصعداء من غزوة دفعوها بشق الأنفس حتى يفاجأوا بغزوة ثانية فثالثة تنهكهم ، وتجعلهم يعيشون دائماً في هـــذا النوع من الحروب الذي يسمونه بلغة العصر : حرب « الاستنزاف » .

---

( ١ ) قال ابن غنام في وصف موقعة الشيقيق : ( وفيها سار عبد العزيز بالمسلمين إلى الرياض فنزل بالشيقيق ، وأقبل فزع أهل البلد إليهم وصدقوا الحملة عليهم ، ولكن الله من على المسلمين بالثبات، ولم يكن لهم إلى الفرار التفات، فقتل من أهل الرياض ستة من الأشرار،وقتل من المسلمين ناصر بن عبد الله ومحمد بن حسن الهلالي ، ورجع المسلمون إلى بلادهم ) .

( ٢ ) ابن غنام .

إن نجاح قصر الغذوانة جعل عبد العزيز يبني قصراً مثله قرب السلمية، أطلق عليه اسم قصر « البدع » وكان له دور ملحوظ في الانتصار على أهل الخرج .

**توقف المعارك بين الدرعية والرياض أربع سنوات :**

كانت سنة ( ١١٨١ ) ، كما يقول ابن بشر : ( أول القحط المعروف باسم « سوقة »، غارت فيها الآبار وغلت الأسعار ومات كثير من الناس جوعاً ومرضاً وجلا أكثر الناس في هذه السنة والتي تليها إلى الزبير والبصرة والكويت وغيرها ثم رجع الخصب ) .

فهل كانت هذه المجاعة سبباً في توقف المعارك بين الدرعية والرياض ؟

الواقع هو أن المعارك بينهما توقفت حتى عام ١١٨٥ هـ . أي نحو أربع سنوات، باستثناء محاولة أشار اليها ابن غنام، في أخبار سنة ١١٨٣ بقوله: «سار عبد العزيز يريد الرياض فصادف خيلاً لابن دواس عادية على الدرعية — بعد أن أخذت إبلاً كثيرة لسبيع — فقاتلها فتراجعت منهزمة ، ولم يكمل عبد العزيز مسيره إلى الرياض » .

وأكبر الظن أن سبب انصراف عبد العزيز ، خلال هذه المدة ، عن قتال ابن دواس هو اشتغاله بأمور حربية وسياسية في مجالات أخرى من شأنها أن توفر له عناصر القوة وتكفل له التغلب الحاسم على خصمه القوي ابن دواس ، ولقد حقق الله له رجاءه ، فرأينا الوشم والقصيم وثرمداء والعودة والحائر تقبل على عبد العزيز مبايعة ومعاهدة على السمع والطاعة ، وبذلك زاد أنصار عبد العزيز وتعاظمت قوته، وفي نفس الوقت تحسنت العلاقات بين مكة والدرعية ، فزاد ذلك الدرعية بهاءً وسمعة ، وجعل لها في عيون خصومها مزيداً من الهيبة !

**سنة ١١٨٥ هـ .**

**استئناف القتال بين الدرعية والرياض — مقتل ولدي دهام :**

في عام ١١٨٥ هـ . استؤنف القتال بين الدرعية والرياض بقوة وزخم، وذلك

بعد أن أصبح عبد العزيز ، بما انضمّ اليه من بلدان نجد ، أكثر رجالاً وموارد من ابن دواس .

سار عبد العزيز الى الرياض ونزل منها على « معكال » ، فخرج اليه أهلها يقاتلونه ، فقتل منهم ستة ورجع عنهم ، ثم بدا له أن يعيد الكرّة عليهم ، قبل أن تجفّ دماء قتلاهم ، فسار بالموحدين الى الرياض ، فلما وصلوا الى « عرقة » وجدوا دهام بن دواس عادياً عليها ، فأرادوا قتاله فهرب منهم ، ولكنهم تتبعوه وقتلوا من رجاله نحو عشرين قتيلاً ، وأمسكوا بولديه دواس وسعدون ، فقتلهما عبد العزيز [1] .

ويقول مانجان : إن فرس دواس عثرت وسقط صاحبها عنها – ووقع في قبضة الموحدين – ولكن فرسه تابعت جريها الى الرياض ، فلما رآها سعدون عرف أن أخاه قُتِل ، فركبها عائداً الى مكان المعركة ، فأمسكوا به وأخذوه الى عبد العزيز فقتله . ويقال : إن عبد العزيز هو الذي قتل دواس أيضاً ، وبذلك ثأر لمقتل أخويه ( فيصل ) و ( سعود ) اللذين سقطا شهيدين بأيدي رجال ابن دواس وأولاده ، عام ١١٦٠ هـ . في معركة الدرعية .

كان لمصرع دواس وسعدون في نفس أبيهما أثر هائل ، ولعله السر في تخاذله وضعفه وهربه من الحرب ، بعد ذلك !

ويصف ابن غنام حزن دهام على ولديه ، فيقول : « رجع دهام .. مرتدياً من الذل والخزي أضفى لباس ، متجرعاً من الهم أصفى كاس ، فلم تعد له بعد هذه عين قريرة ، ولا حالة من المعاش سريرة ، بل كلما غفَتِ العيون ، أبدى من الأسف المكنون ، ما لا يعرف ولا يقاس ، لا سيما على مفارقة سعدون ودواس ،

---

(١) يقول ابن بشر في وصف هذه الحادثة أن عبد العزيز لما بلغ عرقة « البلدة المعروفة أسفل الدرعية ، وافق ابن دواس عادياً عليها بخيل وجيش ، فلما رأوا جيش عبد العزيز انهزموا فحث السير في أثرهم ، فعثرت فرس دواس بن دهام ، في ( صفاة الظهرة ) التي بين عرقة والفوارة ، فأمسكه المسلمون ، وقتله عبد العزيز ، ثم قتل أخاه سعدون بن دهام ، وقتل معهما في تلك الهزيمة نحو عشرين رجلاً » .

فنودي عليه بلسان الحال من بعيد : ذلك بمـــا قدّمتْ يداك ، وإن الله ليس بظلاّمٍ للعبيد ! » .

## غزوات اخرى :

لم يكد عبد العزيز يرجع من غزو الرياض حتى عاد إلى غزوها مرة اخرى بعد عشرة أيام ، وقتل من رجالها أربعة .

وفي عام ١١٨٦ هـ . غزيت الرياض مرتين : غزاهـــا عبد العزيز مرة وابنه سعود مرة ، وكان حصاد الغزوتين نحو عشرة قتلى من أهل الرياض والاستيلاء على عدد من أغنام البلد [١] .

---

( ١ ) يقول ابن غنام ان قصد « سعود » من غزوة الرياض كان الاستيلاء على شي من إبل دواس وقد وصل سعود الى الرياض بعد الهجود فكمن كمينه .. فلما خرجت السوائم للرعاية أغـــار عليها المسلمون ، فالتجأت إلى البلد .. و ( خرج الفزع .. فتقابل كل من الفريقين واقتتل ) وصدتهم فرسان المسلمين ، فانهزموا مدبرين وقد قتل منهم سبعة » ..
ويلاحظ أن ابن بشر جعل عبد العزيز أمير هذه الغزوة ، خلافاً لما قاله ابن غنام ..